

٥٠٠

هَادِي الْمُدْرَسِيِّ

هَذَا الدِّبْنَ

لِلْقُرْآنِ الْوَحِيدِ وَالْعُسْرِيِّ

دار البياح العربي



هذا الكتاب
للقرون الواحدة والعشرين

هَارِي الْمُدْرَسِي

فَنَاءُ الدِّبْنِ
لِلْقُرْآنِ الْوَاحِدِ وَالْعُسْرِي

دَارُ الْبَيَانِ الْعَرَبِي

صَفْحَةٌ : ١٥٥٢٣٩

بَيْرُوت - لُبْنَان

حُقُوقُ الطَّبِيعِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الثانية
منقحة ومزيدة

١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَحْمَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ *

مَا لِكِ يَوْمِ الدِّينِ * أَيَاكَ نُعْبُدُ وَإِيَّاكَ

نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ *

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ

الْمَغضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ *

لم يكن الناس يعرفون : من اين تأتي الامطار ؟
وكيف تتكون ؟ وكيف تنزل ؟ ففسروا ذلك
بالغيب .. !

ولم يكن الناس يعرفون : من اين تأتي الزلازل ؟
وكيف تتكون ؟ وكيف تنتهي لتترك وراءها الدمار
والخراب ؟ فافترضوا وجود قوى غيبية تسيرها .. !

ولم يكن الناس يعرفون : كيف يتكون الجنين
وكيف ينمو ؟ وكيف يولد ؟ فافترضوا وجود قوة خارقة
هي التي تقوم بذلك .. !

ولم يكن الناس يعرفون لماذا تشرق الشمس ؟
ولماذا تغرب ؟ وكيف تسير ؟ فأمنوا بالله .

أما اليوم . . .

وبعد ان عرف الناس كيف تتكون الامطار ، وان
الهواء يحمل معه بخار الماء من البحار ، وعندما يصعد
الهواء عالياً في طبقات الجو يبرد ، ثم يأخذ في فقدان
بعض حمولته من البخار ، وبفعل البرودة ينفصل البخار
عن الهواء ، ويتحول الى عدد هائل من قطرات الماء .
وتكون هذه القطرات صغيرة لدرجة لا تسمح لها
بالسقوط فوق الارض ، فتطفو بعيداً فوق سطح الارض
وتجتمع مع بعضها البعض كأفواج النحل . ويسمى كل
فوج من قطرات الماء السحابة .

ويظل الهواء - في بعض الاحيان - بارداً لمدة طويلة
وتتسبب البرودة في تحول البخار الى قطرات من الماء .
فإذا كبرت القطرات تصبح أثقل من ان تظل سابحة في
الهواء ، فتسقط القطرات الكبيرة - بفعل الجاذبية - على
الارض ، وهذه هي الامطار . . .

الان . . .

وقد عرفوا كيف تتكون الزلازل ، وانها تحدث
نتيجة غازات مكبوتة داخل الارض ، بفعل وجود

ترسبات من بقايا حيوانات بقيت هناك منذ ملايين
السنوات ، فإذا تحركت الغازات لكي تخرج من الارض
تحدث هذه الهزات العنيفة التي تهدم البيوت ..

الان ...

وقد عرفوا قصة الجنين ، وكيف ان ٤٠٠ مليون
حيوان منوي - شعب منوي كامل - ينحدر من القناة
المنوية في الرجل باتجاه رحم المرأة ، حيث تقبع هناك
« البويضة » ، وتتسابق الحيوانات المنوية في الوصول
اليها ، و « السباق » الاول هو الذي يلتحم بالبويضة
حيث انه يقترب منها ، ويرسل « انزيماً » خاصاً يعتبر
كرسول يخبر البويضة : ان ها قد جئت ! فتبعث له
اشارة من جدارها الخارجي : ان اقترب ! فتتبارز منطقة
صغيرة من الجدار الخارجي للبويضة ، فيقترب الحيوان
المنوي من هذا التبارز ، واذا بالجدار ينفلق من جهته ،
ويلجه الحيوان المنوي بقلنسوته المصفحة من جهة ثانية ،
وتقترب النواتان ، وتندمج الصبغيات وتكتمل وإذا
بالكروموسومات تتراكب على بعضها وتخلق انسان
جديداً له صفات الاب والام معاً ..

الآن . . .

وقد عرف الناس كيف تشرق الشمس وتغرب ،
وان ذلك يحدث بفعل دوران الارض حول نفسها ،
وليس بفعل دوران الشمس حول الارض كما كان يعتقد
سابقاً .

الآن . . . وقد عرف الناس كل ذلك ، فلم يعودوا
بحاجة الى الإيمان بالغيب ، والخالق ، والله ! . . .

بهذا المنطلق الطفولي يحاول دراويش الافكار
الاحادية اقناعنا بأن الدين قد استنفذ اغراضه وان عهده
قد انتهى ، وان هذا العصر هو عصر العلم والاحاد !
ولكن . . .

أولاً - أصبح ان كل المؤمنين بالله ، والمتمسكين
بالاديان أغبياء الى هذه الدرجة ، وانهم من الناس
الذين لا يعرفون كيف تتكون الامطار ؟ ولماذا تنزل ؟

لقد جرت احصائية مؤخراً ، عن نسبة المؤمنين
بالله في كل من فرنسا ، والمانيا الاتحادية ،
والسويد . . . هناك حيث التقدم العلمي والتكنولوجي

في ذروته وحيث يجد كل فرد الحرية المطلقة في كل شيء . . . فماذا كانت النتيجة ؟

- ٩٩ ٪ من الشباب الفرنسي يؤمنون بالله . . .

- ٩٥ ٪ من شباب المانيا الاتحادية يؤمنون

بالله . . .

- وكانت النسبة القليلة في السويد حيث لم يزد

عدد المؤمنين بالله عن ٦٩ ٪ .

فهل هؤلاء لا يعرفون أسباب سقوط الامطار ،
وتكوّن الجنين ، وحدوث الزلازل ، ودوران الارض
حول نفسها حتى افترضوا وجود الله ، مع العلم ان
« الاسكافي » هناك يحمل شهادة جامعية^(١) ؟

ولماذا نفترض - نحن نيابة عن الآخرين - اسباباً

طفولية لايمانهم بالله ، وتمسكهم بتعاليم الانبياء ؟

لماذا لا نسألهم هم حتى نسمع منهم الجواب ؟

(١) لقد ألف خمسون عالماً من كبار علماء الطبيعة كتاب بعنوان « الله يتجلى في عصر العلم » ذكر فيه كل واحد منهم الامور العلمية التي دفعته الى الايمان بالله تعالى .

ومن من المؤمنين بالله عندما سئل عن سبب
إيمانه ، أجاب : لأنه لا يعرف سبب نزول الامطار ؟

حتى في القرون الماضية ، التي يفترض فيها ، ان
الناس ، لم يكونوا يعرفون الكثير من الحقائق العلمية
التي نعرفها نحن ، كان إيمانهم بالله ، وتمسكهم بالاديان
نابعاً من « فهم » النظام ، وتحسس الاثار ، وليس نابعاً
من « عدم فهم » النظام .

ها هي امرأة عجوز ، تجلس على قارعة الطريق
وتعمل بالمغزل لتصنع به اليافاً دقيقة للثياب . . فيسألها
أحد المارة :

- من خلق الكون ؟

فتجيب على الفور :

- رب العالمين .

فيعود ويسألها :

- وما الدليل على ذلك ؟

فتكف عن الغزل ، وتشير الى المغزل الذي
يتوقف عن الحركة ، وتقول :

- هذا . . . !

وتعني ان مغزلاً بسيطاً لا يمكن ان يتحرك إلا
بعلة ، وسبب ، فكيف يمكن ان تكون الحركة الدائمة
في هذا الكون بلا سبب ؟

ويبدو ان الرجل لم يفهم المغزى تماماً ، ولذلك
قالت له :

- البعرة تدل على البعير . واثر السير يدل على
المسير ، أفساء كهذه ، وأرض كهذه ، لا تدلان على
اللطيف الخبير ؟

والواقع فان الحقيقة هي عكس ما يقوله
الملحدون : فالسبب في الكفر بالله هو « الجهل » بحقيقة
الكون ، ودقة الخلق ، و « الجهل » بعظمة النظام
السائد في الحياة .

ثانياً - ماذا عرف الانسان من الكون ، حتى كان
عليه ان يبدل إيمانه الى كفر ؟

هل توصل الى « العلة » التي تدير الكون ،
وعرف انها غير الله ؟

ان كل ما عرفه الانسان ، لا يتعدى « زيادة »
معرفته بالطبيعة ، ولكنه لم يستطع ان يفسرها . فما
اكتشفه الانسان ليس إلا ظواهر الطبيعة ، وليس
الدوافع والاسباب . .

والدين إنما يفسر لك الاسباب والدوافع الحقيقية
التي وراء الكون .

أما العلم الحديث فهو يفسر لك الهيكل الظاهر
للكون .

إن مثل هؤلاء مثل من يقول : ان البدوي عندما
لم يكن يعرف كيف تعمل السيارة ، كان يؤمن بوجود
مصنع لها . والآن إذا عرف كيف تعمل المحركات ،
وكيف تحركها الطاقة ، فان عليه ان يكفر بوجود مصنع
لها !؟ .

وكما يقول البروفسور « سيسيل » : « كانت
العملية المدهشة في صيرورة الغذاء جزءاً من البدن
تنسب من قبل إلى الله ، فأصبحت اليوم بالمشاهدة
العملية تفاعلاً كيمياوياً فهل أبطل هذا وجود الله ؟ فما
القوة التي اخضعت العناصر الكيماوية لتصبح تفاعلاً

مفيداً ؟ » .

« إن الغذاء بعد دخوله في الجسم الانساني يمر بمراحل كثيرة خلال نظام ذاتي ، ومن المستحيل ان يتحقق وجود هذا النظام المدهش باتفاق محض . فقد صار حتماً علينا ، بعد هذه المشاهدات ، ان نؤمن بأن الله يعمل بقوانينه العظمى التي خلق بها الحياة » . .

لقد عرف الانسان كيفية تكوّن الامطار وكيفية نزولها ، ولكن الانسان لم يعرف كيف صارت هذه الوقائع قوانين ؟

لقد عرف الانسان كيف ينزلق ٤٠٠ مليون حيوان منوي باتجاه بويضة الانثى ، وكيف يلتحمان ، ولكن من خلق الحيوان المنوي ؟ من جعله يتجه نحو بويضة الانثى ؟ هذا ما يفسره الدين . .

لقد كان الكون معملاً ضخماً تحت غطاء ، وما كان الانسان يعرف الكثير من عظمة هذا المعمل ، وعظمة النظام السائد فيه ، والآن رفع الغطاء ، وبدأ يتعرف على المعمل عن كثب ، فهل معنى ذلك انه عرف انه لا وجود لخالقه بمجرد مشاهدته لما يدور داخل

المعمل ؟

هل يفهم منطقياً ان مشاهدته هذه اثبتت ان
المعمل جاء من تلقاء نفسه ، ويقوم بدوره ذاتياً ؟

بالعكس ان ايماننا زاد عن السابق يوم اكتشفنا
دقة صنع الله ، وعظمته . هل تريدون امثلة على
ذلك ؟ يقول القرآن الكريم : ﴿ وفي الارض آيات
للمؤمنين ، وفي انفسكم أفلا تبصرون ﴾ (١) ؟

ويأتي العلم الحديث ليكشف عن دقة هذه
الآيات . . ويقول عن بعض أجزاء الجسم الانساني في
ارقام وكلمات كالتالي :

١ - القلب :

وزن القلب حوالي ٣١٢ غراماً حجمه في حجم
قبضة اليد ، تبلغ ضربات قلب الرجل حوالي ٦٠ - ٨٠
د . وينبض في العالم حوالي ٤٠ مليون مرة ، وفي كل
نبضة يدخل القلب حوالي ربع رطل من الدم ، ويضخ
في يوم واحد ٢٢٠٠ جالون من الدم ، وحوالي ٥٦

(١) سورة الذاريات : الآية ٢٠ - ٢١ .

مليون جالون على مدى حياة بأكملها ، ترى هل
يستطيع محرك آخر القيام بمثل هذا العمل الشاق لمثل
تلك الفترة الطويلة ، دون ان يحتاج لاصلاح ؟

في الدم ٥ ملايين كرية حمراء في كل مليمتر
مكعب واحد من الدم ، أي تبلغ في مجموع الدم العام
حوالي ٢٥ مليون كرية حمراء ، وتفرش سطحاً مقداره
٣٤٥٠ متراً مربعاً ، وإذا صفت كريات حمراء لبدن
واحد ، بجانب بعضها البعض ، فان مجموع أقطار
الكريات (قطر الكرية الواحدة في المتوسط ٧ ميكرون)
ينشئ طولاً يغلف الكرة الارضية ٦ - ٧ مرات .

٢ - الدم :

في الدم الكامل - كما قلنا - ٢٥ مليون مليون
كرية حمراء لنقل الاوكسيجين ، و ٢٥ مليار كرية بيضاء
لمقاومة الجراثيم ومناعة البدن وهي بخمسة أشكال ،
ومليون مليون صفيحة دموية لحفظ الدم ضد النزف
وايجاد التخثر في أي عرق نازف ، وتتكون هذه الخلايا
بصورة اساسية من مخ العظام الذي يصب في الدم
بمعدل ٢,٥ مليون كرية حمراء في الثانية و ٥ ملايين

صفيحة و ١٢٠ الف كرية بيضاء ، وجدير بالذكر ان الكريات الحمر تقوم بنقل ٦٠٠ لير من الاوكسجين لخلايا الجسم كل ٢٤ ساعة .

يضخ القلب يومياً ٨٠٠٠ لير من الدم ، داخل الجملة الدورانية التي تمتد حوالي ١٥٠ كيلومتر طولاً عبر كل أنسجة البدن ، ناقلة الدم بما فيه من غذاء واوكسيجين ، ويكفي ان نعرف حيوية النقل عندما يتخرب الدماغ بشكل لا رجعة فيه عندما ينقطع ورود الأوكسيجين عنه لمدة خمس دقائق فقط .

٣ - الجسم :

يحتوي الجسم البشري أكثر من ٦٠٠ عضلة ، وأكثر من ٢٠٠ عظمة ، وتحتوي العضلة المتوسطة الحجم ١٠ ملايين ليف عضلي ، وتحتوي عظمة الفخذ أكثر من ٣٠ الف عامود كلسي خاص .

عمل العضلات مجتمعة في اليوم يساوي ما حملته ٢٠ طناً .

٤ - التنفس :

في كل يوم يتنفس الانسان ٢٥ الف مرة

(٢٥٠٠٠) يسحب فيها ١٨٥ متراً مكعباً من الهواء يتسرب منها ٦,٥ أمتار مكعبة من الاوكسيجين الى الدم .

٥ - المعدة :

في المعدة ٣٥ مليون غدة للافراز ، وفي العفج والصائم (الامعاء) ٣٦٠٠ زغابة معوية للامتصاص في كل ١ سم مربع ، وفي الدقائق ٢٥٠٠ ، مع العلم ان طول الامعاء حوالي ثمانية امتار .

٦ - الكبد :

يعتبر الكبد أكبر غدد البدن ، إذ يزن ١٥٠٠ غرام ، ويحوي ٣٠٠ مليار خلية يمكن ان تتجدد كلياً خلال اربعة أشهر ، فخلاياه اسرع من خلايا الجنين المعروفة بسرعة الانقسام ، ووظائف الكبد مدهشة ما بين مستودعات السكر والدهن والفيتامين ، أو احتجاز السموم وقلبها الى مواد غير ضارة ، أو تحويل الفضلات مثل النشادر الناتج عن فضلات البروتين الى مادة غير ضارة هي البولة ، ويبقى الكبد مركز التموين الرئيسي لسكر الدم ، وبروتينات الدم ، والحفاظ على تخثره

بتكوين مولد الليفين ، كما يقوم بافراز الاصبغة ،
وتكوين الكولسترول ذي الشخصيات السبع .

٧ - الكلية :

لقد ثبت ان الخلية المعوية تولد وتعيش وتموت في
٤٨ ساعة ، وتتجدد الخلايا المعوية باستمرار ، ولا يتبع
هذا النظام في الجسم إلا الدم ، مع العلم ان طول
الامعاء حوالي ٨ أمتار ، وتفرش مساحة ٤٠ متراً مربعاً
للامتصاص بزغابات معوية تبلغ المليارات . حيث يتم
امتصاص كافة أنواع الاغذية والماء والاملاح
والفيتامينات بل وحتى المواد الضارة احياناً .

٨ - العين :

في العين الواحدة حوالي ١٤٠ مليون مستقبل
للضوء ، وهي ما تسمى بالمخاريط والعصي ، يبلغ عدد
المخاريط في كل عين ٧ ملايين وعدد العصيات ١٣٠
مليوناً ، مهمة الاولى للضوء المركز والالوان ، والثانية
للضوء الضعيف والعادي ، هذه المخاريط والعصي تمثل
شبكة الاستقبال في العين ، والشبكية هذه هي نصف
كرة ترقد في قاع العين وترى بفضل منظار القعر بشكل

جميل للغاية ، ويغلف الشبكية كرتان : الأولى غزيرة بالتروية الدموية ، والثانية طبقة صلبة حامية ، ويتحكم في حركات العين ستة عضلات ، ويشرف على التوازن الدماغ والمخيخ والبصلة السيسائية ، ويخرج من العين وكمحصلة لعمل الشبكية نصف مليون ليف عصبي ينقل الصورة بشكل ملون ، وبقي ان نقول ان الشبكية هي عشر طبقات وطبقة المخاريط والعصي هي واحدة فقط وفي اعرق مكان .

٩ - الأذن :

في عضو كورتي الذي يمثل شبكية الاذن ، وفيه حوالي ٣٠ الف خلية سمعية لنقل كافة أنواع الاصوات ، وحساسيته عظيمة .

١٠ - اللسان والاسنان :

يقوم اللسان بالمضغ والبلع وتذوق الطعام والتصويت ، فيه ١٧ عضلة تحركه الى كافة الجهات وثلاثة أعصاب لتنظيم نقل الحس ، وعلى سطح اللسان يوجد ٩٠٠٠ نتوء ذوقي لمعرفة طعم الحلو والحامض والمر والمالح ، وإن حركة اللسان في أي اتجاه ينتج حرفاً

معيناً وبذلك يستطيع الانسان ان ينطق بفصاحة ، واثناء
المضغ والبلع تفرز ست غدد بفوهات ست اللعاب الى
الفم لتطرية الطعام وتهيئته المبدئية ، بالاشتراك مع ٣٦
جهازاً قاطعاً وطاحناً وهي الاسنان .

١١ - المبيض :

في المبيض عند المرأة بويضات جاهزة تصلح كل
واحدة ان تكون نصف إنسان ، يبلغ عددها في المبيض
الواحد (٤٠٠,٠٠٠) بويضة ، ولا يفرز من هذه
البويضات في كل دورة قمرية - ٢٨ يوماً - سوى بيضة
واحدة ، ويتناوب المبيضان في الافراز بالحالة الطبيعية ،
ويعتبر المبيض غدة الجنس البدئية كما هو الحال في
الخصية عند الذكر ، ولكن من الامور الملفتة للنظر ان
مبيض المرأة في بطنها في حين ان خصية الرجل خارج
بدنه ، لأن احتمال موت النطف أو اصابة الخصية
بالسرطان وارد جداً إذا بقيت خصية الرجل داخل
البطن ولم تنزل الى كيس الصفن كالمعتاد وهو ما يسمى
(بالخصية الهاجرة) .

١٢ - الخصية :

تعتبر الخصية عند الرجل مصنع الانتاج للنطف أو الحيوانات المنوية ، حيث تجتمع انابيب مجوفة وبأطوال تصل الى بضعة كيلومترات لتصنع النطف ومن جدارها الداخلي حيث تتطور خلايا الجدار لتصل الى مرحلة النطفة برأس طوله ٥ ميكرونات وذنب طوله ٥٥ ميكرونا ، وتعتبر النطفة حاملة لامكانية خلق نصف انسان ، ويجب ان نعلم ان دفقة المني الواحدة عند الرجل قد تصل الى ٥٠٠ مليون حيوان منوي ، ولا يتخلق الانسان إلا من نطفة واحدة فقط ، بل ان التوأم ايضاً قد يتخلق من نطفة واحدة اندجت بيضة واحدة كما قد يتخلق من تلقيح بيضة بحيوانين منويين . وعدد الانابيب المنوية في الخصية حوالي (٤٠٠٠) انبوب منوي

١٣ - الجلد :

تبلغ سماكة الجلد مقداراً متفاوتاً ما بين ٠,٥ ملم على جفون العين الى ٦ ملم في اخص القدمين ، وباستثناء بعض المناطق في الجلد مثل باطن اليد وكعب

القدم ، فان الجلد في جميع المناطق مغطى بالشعر ،
ويختلف العدد من ٤٠ الى أكثر من ٨٠٠ شعرة / سم
المربع ، كما يوجد في كل سنتيمتر مربع ٣٠٠ مسام
عرقية . وهذه المسام تسمح بخروج السوائل منه الى
خارج البدن ولا يسمح بالعكس ، أي دخول السوائل
من خارج الجسم الى داخله في صمام في اتجاه واحد .

تحت سطح الجلد يوجد حوالي ٥ - ١٥ مليون
مكيف لحرارة البدن ، والمكيف هنا هو الغدة العرقية
لأن تبخر العرق من الجلد يمتص معه نسبة عالية من
حرارة البدن ، وسطح الجلد الذي يبلغ ١,٨ متراً مربعاً
تتفاوت فيه الغدد العرقية قلة وكثرة . والغدة العرقية
هي انبوب متعرج طويل لضخ سائل العرق الذي يمتاز
بصفات خاصة ويبلغ افرازه اليومي حوالي اللتر ،
ومجموع اطوال أنابيب الغدد العرقية الموجودة تحت الجلد
حوالي ٤ - ٥ كيلومترات .

١٤ - الدماغ :

في الدماغ ١٣ مليار خلية عصبية و ١٠٠ مليار
خلية دبقية استنادية تشكل سداً مارداً لحراسة الخلايا

العصبية من التأثير بأية مادة ، والاورام تنمو خاصة على حساب الخلايا الدبقية ، وكأن الخلايا العصبية مستعصية على السرطان ، يتغذى الدماغ من الغلوكوز كمادة سكرية فقط . بخلاف القلب الذي يتغذى من سكر الغلوكوز أو حمض اللبن ، فالسكر هو الحلوى الفاخرة التي يفضلها الدماغ بخلاف بقية اجهزة البدن ، وإذا وقع البدن في ازمة فان الدماغ يبقى العضو النبيل الذي يفضل على غيره في العطاء !

أليست كل هذه الدقة في الصنع ، والعلم بها ، دافعاً الى الايمان بالله ؟

ثم . . ماذا عرف الانسان ؟

إن الانسان عرف مجرد « اسماء » ولم يتعرف بعد على حقيقة أي شيء . . وكما قال القرآن : ﴿ ان هي إلا اسماء سميتوها انتم وأباؤكم ﴾^(١) .

أنت تسأل - : ما الارض ؟

فيجيبك العلم - : تراب ؟

(١) سورة النجم : الآية ٢٣ .

وتعود فتسأل :- ما التراب ؟

فيقول :- ذرات ..

وتسأل :- ما الذرات ؟

يقول :- الذرة : الالكترونات تدور حول بروتون .

وتسأل :- ما الالكترونات ، وما البروتون ؟

يقول لك العلم - « لا ادري » .

إننا نعرف اسماء الاشياء .. هذا حديد ، هذا

بترول ، هذا شجر ، هذا ماء ، الخ ..

ولكن ما حقيقة كل ذلك ؟ لا نعرف .

فكيف إذن ندعي أننا وصلنا الى معرفة حقائق

الكون ، وانه لا حاجة بعد اليوم الى الايمان بالله ؟

ما لكم كيف تحكمون ؟

ثالثاً - ان المشكلة الكبرى ، في الجهل بالدين ،

نشأت من ان بعض ادعياء الدين ، من آباء الكنيسة في

القرون الوسطى ، وقفوا ضد العلم . وطبيعي ان

موقفهم هذا لم يكن يمثل موقف الدين الذي انزله الله ،

خالق الكون ، ومانح العلم . ولكنه كان موقفاً شخصياً
أنانياً .

بالإضافة الى انه كان موقف رجال الدين
المسيحيين ولنفترض انه كان يمثل المسيحية ، فاي ارتباط
بين ذلك وبين الاسلام ؟

إن آباء الكنيسة « حرّموا » العلم خوفاً على
سلطانهم ، ولكن الاسلام « اوجب » العلم
فقال : ﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا
يعلمون ؟ ﴾^(٢) . وقال طلب العلم فريضة على كل
مسلم ومسلمة .

بل واعتبر الاسلام العلماء ، هم المخاطبون
بتعاليمه وديناته فقال : ﴿ يفصل الآيات لقوم
يعلمون ﴾^(١) ! .

وقد وردت كلمة « العلم » - في تركيباتها
المختلفة - في ٧٧٠ موضعاً من القرآن .

(١) سورة الزمر : الآية ٩ .

(٢) سورة يونس : الآية ٥ .

ولو كان العلم نقيضاً للدين ، فهل كان الدين
يأمر بتحصيله ؟

إن الدين كثيراً ما يدعو الانسان الى التدبر ،
والتفكير والتعلم ، والتفهم . لأنه يعرف انه يزداد
وضوحاً بالعلم . ويزداد الناس تمسكاً به لو كانوا
يعلمون ..

رابعاً - ان الدين ، ليس مجرد ترف فكري ،
لتفسير الظواهر ، فليس الدين علم طبقات الارض ،
ولا نظرية فيزيائية ، عن تكون هذا وذاك . وإنما هو
« منهاج حياة » بكل ما تعني الكلمة من معنى .

الدين يقول لك : كيف تعيش ؟

وكيف تعمل ؟

وكيف تحكم ؟

وكيف تعامل الناس ؟

وكيف تربي ؟

وكيف تتعلم ؟ ... الخ .

وليس الدين مجرد « بيان » خطابي عن وجود

الاشياء ، وليس فقط ان تؤمن بوجود الخالق ، بل هو « طريقة » للحياة أيضاً .

ولنا أن نتساءل : لماذا تحكمون على الدين قبل ان تفهموه ؟ لنفترض انه ليس منزلا من قبل الله خالق الانسان والحياة ، وانما هو نتاج الفكر البشري ، كأي نتاج بشري آخر ، لماذا لا تحاولون فهمه ؟ بل تحكمون عليه من بعيد ، بالاعدام جملة وتفصيلاً؟

خامساً - إن الدين حاجة نفسية ، يملأ فراغاً روحياً في الإنسان ، فالضمير ينبض بالايمان بالغيب ، فاذا ملئ بالحقائق الدينية ، انطلق في طريق الخير والا امتلأ بالخرافات .

وهذه هي الوقائع التي تكشف لنا عن هذه الحقيقة :

* لقد راج سوق السحر ، الى درجة ان في لندن وحدها مائة الف ساحر ، يوزعون على الناس الخرافات والاساطير لملء فراغهم الروحي .

* مسلسلات التنجيم تملأ الصحف ، وكتب النبوءات الفلكية ، تعتبر من أكثر الكتب مبيعاً في

العالم .

لقد كفر الانسان بالغيب الالهي ، ليؤمن بدل ذلك بغيب المنجمين والفلكيين .

تحضير الارواح اصبح « موضة العلم » الجديدة وهديته في النصف الاخير من القرن العشرين . ويقبل على حلقات تحضير الارواح علماء أوروبا ، وأمريكا بشغف بالغ . . .

وهو عملية فيها بعض الحقيقة - وبعض الخرافة - المهم : انه لا يسد شيئاً من جوع الانسان إلى الغيب .

سادساً - ان العلم طور « المادة » واضفى عليها الجمال ، واثاح فرصة الاستفادة منها للجميع ، ولكنه عجز عن ان يطور « الروح » ويغذيها ، وأمام طغيان المادية ، وضمور الروحانية انقسم الناس الى قسمين :

الأول - قسم لم يجد بدا من وضع حد لحياته فانتحر بعد ان « شبع » من المادة ، ولم يحصل على « شبع » الروح . ولذلك ، كانت نسبة الانتحار في السويد - جنة الرأسمالية - حيث تتوفر كل وسائل الرفاه المادي ، اعلى نسبة في العالم بعد المجر - جنة

الماركسية - . . .

الثاني - قسم اتجه نحو الوسائل الصناعية لسد
جوع روحه : فاستعمل الحشيش ، والهيريون ، ويحاول
الحصول على مواد مخدرة اخرى أكثر مفعولاً من
ذلك . .

وحسب آخر احصائية فان هنالك ٤٠٠ مليون
« حشاش » في العالم ، و فقط في امريكا يوجد ٢٠ مليون
مدمن على المواد المخدرة . كما ان ٢٥ ٪ الى ٣٠ ٪ من
طلاب وطالبات المدارس في نيويورك مدمنون على
« الماريوانا » أو « الهيريون » .

كل ذلك لملء فراغ الروح . .

سابعاً - ان العلم اعطى الانسان انياباً بينما الدين
يعطيه الضمير .

لقد ارتفعت قدرة الانسان على التخريب بنسبة
مليار في المائة ، حسب تقدير العلماء ، فأصبح بإمكانه
تدمير الارض والقضاء على الحياة فيها في غضون ثلاث
ساعات وعشرين دقيقة فقط ! .

وزادت قدرته على السرقة ، حتى ان رؤساء

الدول الكبرى يعقدون مؤتمرات من اجل « اتخاذ اجراءات مشددة لمنع اللصوص من سرقة القنابل الذرية ، والتهديد بها للوصول الى مطالبهم » .

العلم رفع من قدرة الانسان على الوصول الى ما يريد ، حتى الاسرار لم تعد اليوم اسراراً : فالاقمار الصناعية في الفضاء ، و « الاذان » الصناعية في اعماق المحيطات تسرق حتى همسة الانسان مع زوجته من على بعد مئات الاميال .

آلات التقاط وارسال تلفزيونية صنعها الامريكيون في شكل اوراق الشجر ، والورود ، والقوا بها في طريق « هوشي منه » ، وكانت هذه « الآلات » تلتقط اصوات القوافل الطائرة ، وترسلها في صورة اشارات الى القواعد الامريكية في « تايلند » ثم تقوم العقول الالكترونية هناك بتحليل الاشارات ، وصياغة قرارات لضرب تلك القوافل ، ومن ثم كانت تصدر أوامرها الى الطائرات المقبلة التي تعمل بلا طيارين ، فتقوم هذه الطائرات بضرب القوافل بقنابل ميكروبية ، حيث كانت تصيب آلاف الجنود بالشلل ، أو العمى ، أو الاختناق .

.. آلات تفجير ، ألقها اسرائيل على مخيمات

اللاجئين في لبنان في صورة « دمي » للاطفال ،
وشوكولاته ، وأقلام وما شابه ذلك ..

وهكذا اعطى العلم انياباً للانسان ، بينما هو
بحاجة الى وجدان وضمير ، وخوف من الله ..

حتى في الاتحاد السوفياتي الذي طبق فيه نظام
صارم يعتمد على وسائل العلم ، لتطبيق العدل والمساواة
كشف النقاب بعد « ستالين » - وعلى لسان المؤتمر
العشرين للحزب الشيوعي المنعقد سنة ١٩٥٦ - عن
مظالم كثيرة ارتكبتها القيادة التي يرئسها ستالين نفسه ،
وانه ارتكب بحق الشعب ما يرتكبه أي زعيم
استعماري .

ترى لو كان هناك ايمان بالله ، وخضوع له هل
كان يقع الظلم ، من قبل السلطة المكلفة هي بتطبيق
العدالة ، واشاعة الحرية ؟

ان الدين يفهم اليوم ، أحسن من امس . ، ويفهم
غداً أحسن من اليوم ، لأن حقائق الدين عميقة ولذلك
فهي بحاجة الى وعي اكثر ، وتقدم علمي رفيع لكي
تفهم بشكل جيد ..

أ - مثلاً - قال الدين : ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾^(١) . بمعنى ان كل كلمة تقال يجري حفظها ، وتسجيلها .

ويوم قال الدين هذه الكلمة ، لم يفهم الناس منها إلا ظاهرها .. ولكننا اليوم ، وبفضل الاكتشافات الدقيقة ، نعرف ان أي « كلمة » تخرج من فم الانسان فانها لا تضيع .. لأنها سوف تصبح جزءاً من الامواج ، ومن ثم فانها تبقى في الاجواء ، وها هو الانسان يسعى لصناعة آلات تسجيل يمكنها ان تسجل الكلمات التي قيلت قبل مئات السنوات ، واصبحت اجزاءً من الامواج .. ويستطيع العلم اليوم تسجيل اصوات سابقة ، ولكن المشكلة الاساسية امامه هي في « فرز » هذه الاصوات ..

وربما يتمكن العلم من حل هذه المشكلة ، مما يعني ان نسمع صوت السيد المسيح وهو يخطب في الحواريين ، وصوت النبي ، وهو يدعو الناس الى التوحيد .

(١) سورة ق : الآية ١٨ .

اذن : فنحن نفهم اليوم قول الدين : ﴿ما يلفظ
من قول ، إلا لديه رقيب عتيد﴾^(١) احسن من امس ،
وسنفهمه غداً احسن من اليوم .

ب - مثال آخر : قال الدين : ﴿وان ليس
للانسان إلا ما سعى ، وان سعيه سوف يرى﴾^(٢) وفهم
الناس منه : ان نتيجة السعي سوف ترى .

ولكننا اليوم نفهم ان نفس السعي ، ونفس
الفعل ، سوف يراه الانسان . لأن صورة الانسان ،
ككلامه لا تنعدم ، بل ان رائحته التي يتركها ، والتي
يتميز كل فرد برائحة خاصة ، لا تنعدم .

ولقد توصل العلم الى اختراع « آلة تصوير
كاميرا » تستطيع ان تصور الانسان بعد غيابه من محل
كان يتواجد فيه ، وتخرج الصورة كأنما هو الجالس مع
ان التصوير يتم في غيابه . . .

وتستخدم هذه « الكاميرا » عادة في الكشف عن
اللصوص ، فبعد وقوع الحادث ، تأتي فرقة البوليس

(١) سورة ق : الآية ١٨ .

(٢) سورة النجم : الآية ٣٩ - ٤٠ .

ومعها الكاميرا ، وتلتقط عدة صور من مكان تواجد السارق ، وعند ظهورها يبدو السارق ، وهو يحاول فتح قفل ، أو جمع مال ، أو ما شابه ذلك . .

إنما المشكلة : ان الكاميرا هذه لا تستطيع حتى الآن ان تصور الانسان بعد غيابه إلا في مدة قصيرة .

المهم : ان « عمل » الانسان يبقى في هذا الكون ، وسوف يراه يوم القيامة كما قال الدين !

ج - مثال ثالث : قال الدين ﴿ ان بعض الظن اثم ﴾^(١) وتساءل كثيرون كيف يعتبر الله « الظن » السيء اثمًا مع ان الظن مجرد « تفكير » وليس عملاً خارجياً ، ومن ثم فلا ضرر منه يلحق بأحد ؟

ولكننا اليوم نفهم ، كيف اعتبر الله الظن السيء اثمًا . وكيف ان مجرد « النية الخيرة أو الشريرة » لها تأثير على الآخرين . .

فللروح تموجات . .

وللمخ تموجات . .

(١) سورة الحجرات : الآية ١٢ .

فانت تفكر في شيء ، فتخرج من مخك « امواج كثيرة » ، تلفح « مخ » الآخر الجالس امامك ، فيفكر هو فيما تفكر فيه انت ..

وكثيراً ما يقع ان نفرين يتحدثان فيما بينهما فينوي احدهما ان يذكر حادثة معينة ، أو يسأل سؤالاً معيناً ، فيسبقه صاحبه الى ذكر نفس الحادثة ، أو يطرح نفس السؤال بحيث يندهش الاول من هذا الأمر ..

ولكن العلم حلل هذه المسألة . . . انه يقول : ان الرجل الاول حينما نوى ان يذكر الحادثة ، خرجت من مخه تموجات ، ومرت هذه التموجات على مخ صاحبه ، فتأثر بها ، وذكر الحادثة لزميله من دون ان يعرف هو لماذا تذكر هذه الحادثة ؟

وهكذا : إذا « ظننت » برجل شراً فانه ايضاً « سيظن » بك شراً . . لأن امواج « مخك » تؤثر على مخه « ويفكر فيك كما تفكر فيه .

والعكس بالعكس . . فعندما تنوي برجل خيراً ، فهو طبيعياً سينوي بك خيراً . .

من هنا اعتبر الاسلام للنية الحسنة ثواباً وللنية الشريرة عقاباً . .

وقال : « ألا وان النية هي العمل » ..

ويذهب « الامام علي » (عليه السلام) إلى أبعد من ذلك حينما يطالب من يريد قلع الشر من صدر غيره ، بأن يقلع هو الشر من صدره ويقول :

- « اقلع الشر من غيرك ، بقلعه من صدرك » ..

فأنت حينما تقلع الشر من صدرك ، وتزرع مكانه الخير ، تكون قد « بدلت » الموجة التي كانت « ستلفح » غيرك ، ومن ثم سوف يبدل هو موجته الشريرة ويجعلها خيرة !

وبهذا يفسر العلماء « توارد الخواطر » حيث ان شاعراً هنا ينظم قصيدة ، وبعد لحظات ، أو ساعات ، او أيام ، ينظم شاعر آخر نفس القصيدة في مكان بعيد عن مكان الاول ..

ويقول العلماء ان الشاعر الاول حينما « نظم » قصيدته ، خرجت القصيدة من مخه ، في صورة امواج ، وعندما مرت على مخ الشاعر الآخر ، التقطها فوراً ، وحوّلها الى قصيدة « طبق الاصل » !